بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص بحث

هوية المرأة بين السبك الحداثي و الإسلامي

بقلم: فاطمة آل يوسف

منهجية البحث: العبودية أم التمرد؟

كل انسان عاقل يريد أن يعرف موقعه التكويني لكي يحافظ عليه و يستقر به و ينطلق منه تحصيل كمالاته، أن تصبح عالماً يعني أن ترغب في التقرب من المعلوم و الإنضمام إليه، أن ترغب و أن تريد التقرب من المعلوم بمعنى أن المسار الإدراكي يعتمد على الإرادة و الاختيار، أنت باختيارك تقترب من الحق أو تتمرد على الحق.

عندما ننطلقُ من منطقِ حقِّ العبوديّةِ لله، هنا لا نريدُ أن نكتشفَ هويّةَ المرأةِ في الإسلامِ على نحو التنظير و التصور فقط بل نريدُ أن نسلّمَ بحقّ اللهِ، و نقرّ بأنّ ما نكشفه –ما نفهمه- من واقع المرأة و هويتها هو منجّز و معذّر وحجة عليها. كما هو الحالُ بالنسبة لما يكشفه الرجلُ من هويته الواقعية، يصبح كلٌّ منهما مسؤولاً أمامَ الله للحفاظ على هذا الموقع التكويني و أداء المسؤوليات المنسجمة معه و سبْك الحياة بالطريقة التي تتلاءم معه، هذا هو معنى التمدن أو الحضارة، أي التمكّن من تطويع النفس بحيث تنساق مع الإرادة الإلهية (الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة...) مكناهم ، في التمكّن من تطويع النفس أولاً تنتظمُ حياةُ الانسانِ على هذه الأرضِ و ينطلقُ هذا النظامُ الإسلاميُّ من أعماقِه، من فطرتِه و كلّ وجودِه، وفي هذا التمكن يكمن التمدن و الحضارة، حيث أن الانسان مستخلف عن الله في تحقق و انبساط الإرادة الإلهية على الأرض.

إذن ندعي أن هناك هوية فطرية فطر الله الانسان عليها و جعل له موقعاً في هذا التكوين، و أن الانسان إنطلاقا من الغاية من خلقه أي حق العبودية لله سبحانه فإنه مسؤول عن صيانة هذه الهوية الفطرية بمعرفة الحق و إتباعه عن وعي و إرادة و رغبة في الإتباع، في مقابل المتمرد الذي إما أن لا يتبع أصلاً أو يتبع و لكن مع تمرد و عدم رضا، هذا النوع من الإتباع لا يحقق الغاية من خلقة الانسان ، الإتباع المطلوب هو الناشئ عن وعي و رغبة.

خلافا للحداثي الذي يعتقد بأن موقع الدين هو الحد الأدنى في حياة الانسان و لا علاقة للدين بالمجتمع، حيث يعتقد أن سبب تخلف المجتمعات الإسلامية هو إصرارها على جعل الإسلام هو الأصل في الحياة العامة، هؤلاء لا يرفضون الدين مطلقاً بل اتخذوا أحد طريقين:

١- طرح منهجية للإجتهاد في الدين (كالتي أسّس لها السيد فضل الرحمن)
٢- فكرة القراءة الذكورية للدين، و تأسيس العلوم النسوية (آمنة ودود، نيرة توحيدي...)

أهمية البحث

إن صيانة الهوية الانسانية الفطرية -التي ندّعي أنها تمثل الهوية الإسلامية- هي الدعامة التي بها نستطيع أن نسير ضمن متغيرات العصر الراهن، كثيراً ما يكرر الحداثويون أن الهوية الحاكمة في العالم الإسلامي تمثّل العائق الأساس أمام مسيرات التحول في تاريخ الأقوام والشعوب الإسلامية و خروجهم من التخلف الراهن إلى الحضارة المرجوّة[1]، كما أن الهوية هي المنظم الأساسي لإعادة بناء العلاقات البشرية، و لذلك يأكدون على ضرورة استقلال الهوية من الشريعة ويميزون بين الدين الإسلامي و الشريعة التي هي قراءة الفقيه للدين و ليست هي الدين.

هنا يجب أن نلتفت إلى وجود مسارين تاريخيين للهوية الانسانية، عندما ندرس الحضارة الغربية كظاهرة إجتماعية نجد أنها انتقلت من مرحلة القرون الوسطى التي كانت الكنيسة فيها هي الرائدة و المتصرفة في الوضع الإجتماعي باسم الدين إلى مرحلة التنوير و الإصرار على الإكتفاء بالعقل البشري في إدارة الحياة بكل أبعادها و القبول بالحد الأدنى من التدين أي الإيمان الباطني و الشخصي، ثم من عصر التنوير و بسبب التطور التقني الهائل الذي أحدثته العلوم التجريبية خصوصاً دخل الانسان الأوربي في عصر الحداثة ثم انتقل إلى عصر ما بعد الحداثة الذي تميز بتطور في العلوم الإنسانية و اندمجت مع الدين و المعرفة في بعض الحقول الفكرية فظهرت فروع جديدة للإلهيات و التي عُرفت بالإلهيات المضافة، خاصة في دائرة المتدينين كالهيات المعرفة و إلهيات سياسية و ثقافية و ما يهمّنا هنا هو الإلهيات الإجتماعية الذي يتناول فهم الظروف الإجتماعية و يستنطق النصوص الدينية كي يعطي تقييماً دينياً للبُنى الإجتماعية الجديدة مثلاً ما هو رأي المسيحية في الأسرة الديمقراطية؟ هل الجنوسة أو النوع الإجتماعي أمر طبيعي تكويني أو أنه مكتسب من الثقافة و التربية الإجتماعية؟ و غيرها من المسائل التي يدرسها علماء اللاهوت في الإلهيات الإجتماعية. هذا ملخص موجز لنشأة هوية الانسان المتدين الغربي، أما في العالم الإسلامي فالمسار يختلف تماماً كما سيأتي، حيث جاء الإسلام بتأسيس عميق للهوية الإسلامية لا يمكن انتزاعه بسهولة، جعل للانسان هوية تاريخية أصيلة قوية و جعل أسس فطرية كثيرة تزيد من تعميق هذه الهوية الانسانية و تنميتها.

أيضا يجب أن نقرّ بأن الهوية بُنية متفاعلة ليست ساكنة و لا مغلقة و هذا ما يحقق الحركة الانسانية الواعية و الإرادية (إلى أين)، إذن كل فرد في المجتمع و كل مجتمع ضمن العالم هو يتأثر بمن حوله و هذا التأثير يتغلغل إلى أعماقه و مقوماته الداخلية، فيخلق في وجوده وجدان آخر، و شعور يتبلور في مسار زمكاني، و لعل عملية غسل الدم هي المثال الأبلغ الذي يعبِّر عن عملية تغيير الهوية، خاصة في العالم الإسلامي. بالتالي فإن الانسان المؤمن بحق العبودية لله (إلى أين) مسؤول عن الحفاظ على هويته، كل فرد يختار مصيره بنفسه، أين يجب أن يكون (من أين) حتى ينطلق في حركة عروجية صحيحة و كيف يجب أن يطوي مراحل البناء الروحي و النفسي و العقلي و الإجتماعي و السلوكي... (في أين). و قد إنطلق الإسلام في بناء هوية الانسان من الأسرة.

[1] نيرة توحيدي، محاضرات باللغة الفارسية تحت عنوان الإسلام و الفمنيسم؛

١. تقديس العلاقة الزوجية

تعتبر الأسرة انطلاقة النظم الاجتماعي التوحيدي، لذلك نجد الإسلام يقدس هذا البناء قدسيّة خاصة في أصل نشأته، من خلال العلاقة الزوجية و في كل مرحلة من مراحل مساره التركيبي، نجد في الإسلام تصريحاً أن بنية الأسرة و التزويج هي الأحب عند الله (ما بني في الإسلام أحب إلى الله من التزويج) أو (بناء أحب إلى الله و أعز من التزويج)، و جاء في حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله: (يفتح أبواب السماء في أربعة مواضع -كناية عن نزول البركة و الرحمة الإلهية، و من هذه المواضع-... عند نظر الولد في وجه الوالدين و عند النكاح) عند عقد الزواج و عند نظر الولد إلى والديه و كلا هذين الموقفين يتعلقان بكيان الأسرة.

٢. البعد الفطري في العلاقة الزوجية

النصوص الدينية تؤكد على أنّ قوام الأسرةُ فطري أي أنّ الأسرةَ تتشكّلُ بعقدِ نكاح و لكنّه ليس عقداً اعتبارياً مثل بقيّةِ العقودِ و إنما له منشأ فطريّ (جعل بينكم مودة و رحمة) الجعلُ هنا يشيرُ إلى البعدِ التكوينيّ الفطريّ، وهذا ما ينقله السيدُ العلامة الطباطبائي و الشهيد المطهري، أن المودة و الرحمة التي يشعر بها كلا الجنسين بمجرد عقد النكاح هو شعور فطري يتفعل بهذا العقد، إذن للأسرةِ منشأ فطريّا فإنّ تكاملَ الإنسانِ متوقف في بعضِ مراحله و أبعادِه على الأسرةِ و بالتالي لا يمكنُ الإستغناءُ عنها مطلقاً. إذن الأسرةُ ليس الهدفُ منها مجرّدَ تكثيرِ النسلِ أو الحفاظِ على النوعِ البشريّ الذي يتحقق من خلال ميول غريزية -في بعض مراحلها الأولية- و التي يتشارك فيها الانسان مع غيره من الحيوانات، و إنما للأسرةِ دورٌ في تكون هوية الإنسانِ في كل أبعادها الروحية و النفسية و السلوكية الإجتماعية، بالتالي فإنه لا يمكن الإستغناء عن تركيبة الأسرة حتى و إن تمكنّا من الوصولِ إلى طريقٍ لتكثيرِ النسلِ من خلالِ التطوّرِ العلميّ كما يرى بعض النسويين الراديكاليين[١].

٣. التركيب الفطري للأسرة (الأسرة العمودية)

بالإضافة إلى أنّ أصلَ تكوينِها فطريّ، فإنّ تركيبتَها فطريّةٌ أيضاً (الرجال قوّامون على النساء)، بمعنى أنّ المرأةَ تميلُ للإعتمادِ على قوّةِ الرجلِ و الرجلُ يميلُ لإدارةِ الأسرةِ بالفطرة و هدايتها، و عندما لا تجدُ الزوجة في زوجِها قوّةَ الإدارةِ و التدبيرِ فإنّها تسيءُ الخلقَ و التعاملَ معه أو لا أقلّ تشعرُ بالانكسارِ و الرغبة في إشباعِ هذه الحاجةِ، كما تشعرُ بانهيارِ بعضُ أبعادِ الأسرةِ بسبب هذا النقصِ فيكونُ أمامُها طريقان إمّا اللجوء إلى الخارجِ لتأمينِ هذا النقصِ فتلجأ إلى طرف آخر خارج البيت تثقُ به ليُعينَها في تحديدِ إدارةِ البيتِ وهذه أخطرُ مشكلة تقعُ فيها المرأةُ لأنّ هذا الطريقَ يعني انهيارُ روحِ الأسرة!! و هو الشائعُ لأنّه الأسهلُ لكنّه يقتلُ الأسرةُ وليس حلاً واقعياً ، لذلك يحذّر القرآن الكريم بـ (الحافظات الغيب) أو أنها تحاول أن تقوم هي بدور التدبير و الهيمنة و هذا غير ممكن بل يؤدي إلى إنقلاب روحي في هوية كلا الجنسين و يشير كثير من

[١] راجع: جوادي آملي، المرأة في مرآة الجلال و الجمال؛ محمد رضا زيبائي نجاد و آخرون، المرأة هويتها الجنسية و أدوارها الاجتماعية.

العلماء إلى هذه المسألة مثلاً يقول المحقق الطوسي أن هيمنة المرأة و سيطرتها على تدبير البيت يستدعي تنامي شعور في أعماق المرأة أنها متفوقة على الرجل و أنه لا يعدو خادماً لها مساعداً لأمرها و لا يجب أن يكون غير ذلك أي لا تعتبر أن له أية أهمية، في المقابل يتنامى شعور عميق عند الرجل بالإنزجار و التنفر من هذا الواقع الأسري، فتأتي الإنتكاسة المطلقة لتعود بالفساد على البيت و الحياة الأسرية و الإجتماعية[1]، و لذلك مباشرة بعد قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء ... فالصالحات قانتات حافظات للغيب) يعرف المرأة الصالحة في ذيل قوامية الرجل، أي أن المرأة الصالحة -إذا أردت أن تختار إمرأة للزواج- هي القانتة أي المطيعة الليّنة و الحافظة للغيب أي تستر ما يغيب عن الناس خاصة في بيتها، الطريقُ الآخرُ هو أن تنطلقَ المرأةُ من الإيمانِ بأنَّ الرجلَ مفطورٌ على حبِّ إدارةِ الأسرةِ كما أنّها مفطورةٌ على الأمومةِ، هذه أمورٌ فطريّة يجبُ أن تبرزَ من كلا الطرفين، ويجب أن يساعدُ كِلا الطرفين الآخر في إبرازِها و هذا هو الحلُّ الذي يحفظ و يقوّي كيانُ الأسرةِ، إنّ التركيبة الأسريّة في الإسلامِ متقوّمة على قواميّةِ الرجلِ و تدبيرِه و ولايته، هذا يُمثّلُ العمودَ الفقريّ الذي يحفظُ و يقوّمُ الأسرة، كما يقوّمُ شخصيّة المرأةِ التي تعيش في هذه الأسرةِ سواء كانت بنت أو زوجة أو أم.

يرى بعض الحداثويين و النسويين أن المجتمع كان اشتراكياً قبل أن تظهر الملكية الخاصة... بمعنى أن الرجل كان يمارس العلاقة الجنسية مع أي امرأة و عندما تحمل المرأة و تنجب يربون الطفل دون أن يسأل أحد هذا ابن من؟! إلى أن وقع نزاعاً بين الناس على الإمكانيات الاقتصادية بعد تقسيم الأراضي و انتشار الزراعة و بدء ظهور الملكية الخاصة، أخذ كل شخص أملاكه مع امرأة أو أكثر و انفصل عن الآخرين ليحفظ أمواله و بهذا تشكلت الأسرة!

إلا أنه من الواضح الإختلاف بين هذا المسار و المسار التاريخي الإسلامي بل الديني لنشأة الأسرة، حيث أن كل الأديان الإبراهيمية تعتقد أن أول انسان على وجه الأرض انوجد ضمن علاقة زوجية (آدم و حواء) و هناك إشارات في الروايات إلى البعد الفطري التكويني إلى طبيعة المرأة و طبيعة الرجل القائمة على الأنس و الرحمة و المودة من جهة، و إلى دور المرأة الأساسي في الأنس و زرع المحبة في مقابل الرقابة و الحماية و الهداية من الرجل، عن زرارة بن أعين عن أبي عبدالله الصادق ﴿ع﴾ قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم عليه السلام من طين ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع منه ... فقال آدم عليه السلام عند ذلك: يارب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله تبارك وتعالى: يا آدم هذه أمتي حواء، أ فتحب أن تكون معك تؤنسك وتحدثك وتكون تبعا لأمرك؟ فقال: نعم يارب ولك علي بذلك الحمد والشكر ما بقيت، فقال الله عزوجل: فاخطبها إلي فإنها أمتي وقد تصلح لك أيضا زوجة للشهوة وألقى الله عزوجل عليه الشهوة ...، فقال: يا رب فإني أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ فقال عزوجل: رضاي أن تعلمها معالم ديني، فقال: ذلك لك يا رب علي إن شئت ذلك لي

نجد أن التصور الشائع عند الحداثويين تجاه الأسرة أن قوام الأسرة بعقد المشاركة أي أنّ الأسرةَ مركزٌ اجتماعيٌّ مثل بقيّةِ المراكز و الشركات يتكوّنُ من خلالِ عقدِ الشركةِ و المتمثل

[1] راجع: أخلاق ناصري، ٢٧٤، ابن سينا في كتاب السياسة قسم تدبير الرجل أهله.

في عقدِ النكاحِ، و يقصدون بعقد المشاركة أن المرأة شريكة الرجل و في عرضه، و أن القول بقوامية الرجل و لزوم طاعة المرأة للزوج يعني أن المرأة في الدرجة الثانية من الانسانية و يرون أن في هذا إهانة لكرامة المرأة لا يرتضيها الله سبحانه و تعالى، حيث يأكدون على ضرورة التساوي بين الجنسين، هذا التساوي يجعل عقد النكاح قائم على المشاركة بينهما، مما مهّد إلى ظهور الأسرةُ الديمقراطية، اليومُ الأسرةُ الديمقراطيّة هي المنتشرة و هي الأخطرُ حيثُ يدعو هذا التيار إلى البناءِ الأفقيِّ في الأسرةِ، فلا يوجدُ أيّ إدارةٍ أو اقتدارٍ لأحدِ الأطرافِ على الآخر، و لا يجبُ أن يوجّه الأب أوامر و نواهي للأم و لا للأبناء بل يقتصرُ دورُه على حمايةِ الأبناءِ و التشاورِ معهم، حتى إذا رآهم يقومون بالمنكرِ لا ينهاهم بل يُقدِّمُ النصيحة فقط. ديكنز عالم اجتماع يقول: إذا أردتم تحقيق الديمقراطيّة يجب أن تبدؤوا من الأسرةِ، عندما تصبحُ الأسرةُ أفقيّة ستتحقق الديمقراطيّة في المجتمعِ، ولن يقبلوا بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الولاية أصلاً.

أبحاث أخرى تؤكّد على أن المرأة التي تمثل واسطة العقد الأسري –نظراً إلى قواها العاطفية، و كما أشار فيبر أن العاطفة هي أساس تفكك المجتمع أو ترابطه - هي التي بإمكانها تحويل الأسرة العمودية إلى ديمقراطية، إذن المرأة مستهدفة ليُضرب من خلالها معقل الإسلام الاجتماعي الذي منه تنطلق حركة الإسلام التكاملية و هو بناء الأسرة. فالمرأة الأمّ هي التي تمثّلُ واسطة بينَ الأبِ و الأبناءِ فهي الخيطُ الذي يربطُ كلّ الحلقاتِ ببعضِها البعض و هذه هي الأمومة المطلوبة أن تؤمّ و تحوي و تقوّي الروابط و العلاقات داخل الأسرة، هذا الربطُ يكونُ عمودياً يعني الأب ثم الأم ثم الأبناء، هذا هو البناءُ الإسلاميُّ للأسرةِ، إنّه بناءٌ عموديٌّ.

نحن نقول أنّ هذا البناءَ له أصولٌ فطريّة و التحوّلُ فيه هو انحراف و يؤدي إلى ضياع كلا الجنسين وفيه قطع لما أمرَ اللهُ بوصلِه (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[1]. لأن الأمّ لا تتمكن أن تمارس أمومتها بالشكل الصحيح إلا بمقدار تفوقها في العلاقة الزوجية، لذلك اهتم الإسلام بالعلاقة الزوجية و جعله ميدان جهاد المرأة (جهاد المرأة حسن التبعل)

نعم نحن نقبلُ بالتحوّلاتِ الأسريّةِ و لكن يجبُ أن نَهدي هذا التحوّلَ بحيث لا يضرّ بأصولِها الفطريّة. يجبُ علينا الحفاظ على بناء الأسرةِ العموديِّ. هذا يعني القبول بموقعيّةِ كلِّ فردٍ فيها يعني تحليلُ هوية المرأةِ بما يتناسبُ مع وضعِها الكائن تحت قوامية الرجلِ وولايته على أبنائه، و بناءً على ذلك يجب أن نفهمَ الوظائفَ الاجتماعيّةَ للجنسين و أن نضعَ نظاماً تربوياً و تعليمياً و حقوقياً ينسجم مع شخصيّةِ كلٍّ من الجنسين و يساعدُهما على أداءِ وظائفِهما و مسؤولياتِهما، و بناءً على هذا السياقِ يجبُ أن نحدّد سبكَ حياةِ المرأةِ المسلمة، و إلا ينفتحُ لنا بابَ الإنحرافِ، الانحرافُ عن عبوديّة الله، الإنحرافُ عن التكوين، من هنا ندركُ كلامَ بعضِ المفكرين في الغرب: إذا أردتم القضاء على الدين عليكم بتضعيفِ قوامية الرجلِ في الأسرة!، لماذا؟ لأنّ هذه النظرةَ العموديّة في الأسرةِ تربي الإنسان على الولاية و التولي و التسليم و الخضوع، فإذا تمّ ضربُ الحاضنةِ الأساسية للولاية فإنه سيكون من السهل حذفُ ولايةِ الله.

---

[1] البقرة: ٢٧.

في حين نجد أن هذه المسألة –مسألة القوامة التي تستلزم طاعة المرأة للزوج- هي المسألة الأكثر حساسية و رفض عند النسوية، تقول آمنة ودود و التي تعد مؤسسة النسوية الإسلامية في العالم العربي: (هذا ولم يأمر القرآن المرأة على الإطلاق بطاعة زوجها كما لم يذكر أن طاعة الأزواج خاصية من خصائص الصالحات أو متطلبا أساسيا للمرأة للدخول في مجتمع الإسلام، بيد أنه في زواج الاستعباد أطاعت الزوجات أزواجهن لأنهن رأين في العادة أن الزوج الذي ينفق على أسرته بما في ذلك الزوجة يستحق الطاعة. ويعتبر الاعتقاد بضرورة طاعة الزوج أثرا من آثار زواج الاستعباد وليس قاصرا على التاريخ الإسلامي كما أنه لم يتطور على الرغم من أن الزوجين يبحثان في هذا الزمن عن شركاء لتعزيز التبادل الروحي والاقتصادي والفكري والعاطفي ويقوم توافقهما على السمعة الحسنة والاحترام المتبادل وليس على إخضاع المرأة لسيطرة الرجل، هذا فضلا عن أن الأسرة تعتبر وحدة للدعم المتبادل والوئام الاجتماعي وليس مؤسسة ليستعبد الرجل المرأة التي يدفع فيها أعلى الأسعار ثم ينفق بعدئذ على احتياجاتها المادية والجسدية فقط دون اهتمام بالجوانب الأسمى من جوانب الارتقاء بالإنسان)[١]

٤. الأسرة بناء متحول و متغير دائماً:

في علم الإجتماع الإسلامي يتم دراسة الأسرة دراسة أوسع من علم اجتماع الأسرة وذلك بسبب اعتمادهم على الصورة التي استنبطها الفقهاء من النصوص الدينية الإسلامية و الأحكام المتعلقة بالأسرة حيث أنّ الشريعة الإلهية تفعّل مقتضيات تكوينية، و نختصر بيانها بالشكل التالي[٢]:

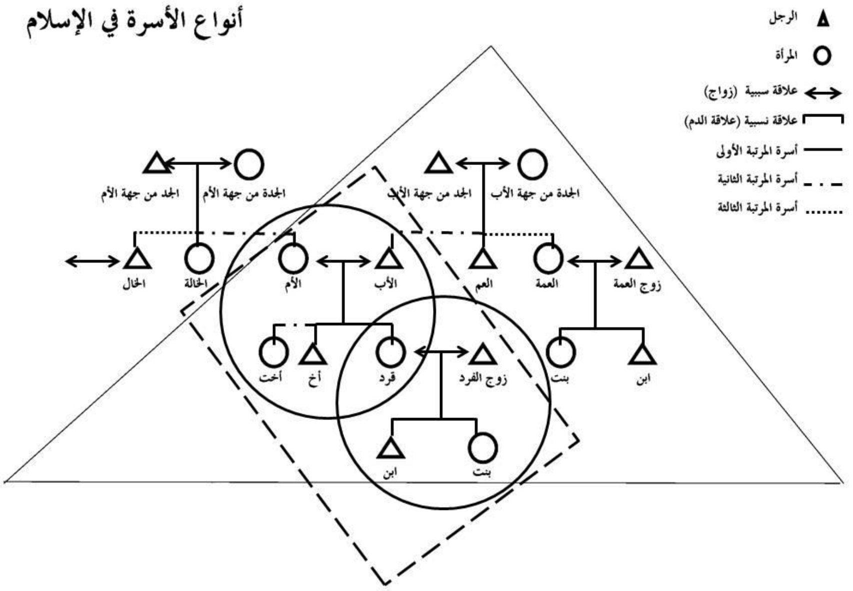

---

[١] آمنة ودود، القرآن و المرأة، ١٢٧.

[٢] محمد رضا سالاري فر، خانواده در نكرش اسلام و روانشناسي.

هناك قرابة خطية أمومية وأخرى خطية أبوية في خط مباشر من أعلى أو أسفل، وقرابة مجانبية من نفس الجيل أو أجيال سابقة بلا تسلسل. يتبع هذه المحاور اختلافات في العلاقات والأدوار والسلطة والإلتزام[1].

القرابات الطولية و العرضية و الأجيالية تزيد من تعميق هوية الفرد الإسلامية لأنه مقابل كل نوع من هذه القرابة نوع خاص من السلوك و الممارسة، التي من خلالها تُغرس الرؤى و المعارف و تُصقل هوية الفرد، السيد العلامة الطباطبائي يعتقد أن كل حق ناشئ من بعد تكويني، فإذا كان الفقهاء قد استنبطوا حقوقاً للمرتبة الأولى و الثانية و الثالثة في الأسرة، هذا يعني أننا يجب أن ندرس الأبعاد التكوينية للأسرة في مراتبها الثلاث و هذا ما يدرسه علم الإجتماع الإسلامي، أهم ما يجب أن نلحظه في هذه الدراسات أن المرتبة الأولى للأسرة لها أهمية خاصة و موقعية خاصة لكن هذه الموقعية حتى تصل إلى غاياتها، هي بحاجة إلى تفعيل موقعية المرتبة الثانية و الثالثة فالعمومة و الخؤولة ليست مجرد مسميات جميلة تلتصق بالأفراد في إشارة إلى العلاقة النسبية فقط، و إنما لها دور أساسي في تنشأة الأبناء، و كذلك الحال بالنسبة إلى الجد و الجدة، هذه الأدوار تستلزم وظائف طرفينية و مسؤوليات. ضمن هذا التحول و التفاعل المستمر و الممارسة لمقتضيات الدين و لوازمه داخل بناء الأسرة بمراتبها الثلاث تتكامل المنظومة المعنائية الإسلامية و تتكون هوية الفرد و المجتمع و التاريخ، وفي كل مرحلة من المراحل التي تمر فيها الأسرة سوف تتعمق العناصر الأساسية عند كلا الجنسين أكثر و تمتد و تتسع في كل مرحلة انتقالية تمر بها الأسرة، و هذا ما يؤدي إلى إنتاج قِيَم جديدة مثل عنصر الشجاعة و الإيثار و الصدق و التعاون و الإخلاص و تلازمها مسؤوليات جديدة خاصة مع الإلتفات إلى عنصر المحبة و المودة بين الزوجين ثم تعميقه و توسيعه في المراحل التالية، فتنتقل هذه المنظومة المعنائية إلى الأولاد و تغرس في عمق أرواحهم بطريقة عفوية و بسيطة غير قابلة للتفكيك، لا يمكن نقلها بالكلام و إنما بالممارسة و الإبراز و هذا هو معنى التربية، فمن خلال الممارسة تُسبك هوية الفرد في الأسرة فتتبلور معارفه و معتقداته ورؤاه و قيَمه. هذه المراحل قسّمها أكثر علماء الإجتماع الأُسري إلى أربع مراحل أساسية: مرحلة الزوجين، مرحلة الزوجين مع طفل أو اكثر، مرحلة أسرة المدرسة الإبتدائية، ثم أسرة البالغين، إلا أن إيفلين دوفال ذكر ثمان مراحل للأسرة: زوجان، مع أطفال صغار، وأطفال ما قبل المدرسة، وفي سن المدرسة ٦-١٣ومراهقين ١٣ – ٢٠، مرحلة مغادرة الأبناء، مرحلة العش الخاوي، مرحلة الإحالة للتقاعد ثم وفاة أحدهما او كليهما[2].

نلاحظ تركيز نلاحظ تركيز علماء الإجتماع الأوربيين على الأسرة المركزية أي الأبوين و الأبناء، لكن التعريف الإسلامي للأسرة أكسبها عامل بقاء آخر يُغرس في نفس الأبناء و هو تاريخية الهوية، يشعر كل فرد ينتمي إلى الأسرة الإسلامية أنه ينتمي إلى تاريخ، هذا الشعور يساعد في صيانة هوية الفرد.

في حين يعتقد النسويون(الفمنيزم) أن الرئاسة هي العنصر الأساس في تاريخ الأسرة التي مرت بمراحل متغيرة بناء على تغير موقعية هذا العنصر، من مرحلة الإباحية إلى مرحلة

[1] للإستزادة راجع الدراسات الأنثروبلوجية المتعلقة بنظام القرابة.
[2] راجع: بهاء الدين خليل تركية، علم الإجتماع الأسري.

الأُمومية، إلى المرحلة الأبوية، إلى مرحلة الاستقلالية و هي المرحلة المعاصرة. بناء على ذلك فإن النظام المعنائي الحداثي ينطلق من الفردية فعندما تتكون أسرة تشعر المرأة بأنها فرد مستقل و يشعر الرجل أنه فرد مستقل، الشعور بالتفرد يضعّف المودة و الرحمة الأولية بين الزوجين فينكمش كل منهما عن الآخر و تقل الثقة بالآخر و يتنامى الشعور بضرورة الوقوف عند الحقوق!، مثلا حق حرية الفرد، حق استقلال المرأة اقتصاديا ثم حق استقلال المرأة في بدنها، يظهر إثر ذلك عنصر حق الإجهاض و عنصر اغتصاب الزوج زوجته إن لم ترغب في العلاقة الجنسية، كما تظهر عناصر الذكورية و المجتمع الذكوري و الأبوية و سلطنة الأب، استبداد الرجل، الجنس و النوع الإجتماعي و غيرها من العناصر التي انطلقت من فكرة أن الرئاسة انتقالية على مر التاريخ و أن المرحلة اليوم هي مرحلة استقلال الجنسين. و تم وضع أفضل القوانين البشرية لحفظ حقوق كلا الجنسين، إحصائيات تقدمها الأمم المتحدة كل عشر سنوات، آخر إحصائيات نشرتها سنة ٢٠٠٧م، نتيجتها: عزوف الرجال عن الزواج في أمريكا، ارتفاع معدل الإجهاض، العنف ضد المرأة، الأطفال الأمهات... المرأة الغربية تعاني الانهيار في أبعاد هويتها كفرد، في الأسرة ، تربية طفلها ، علاقتها الزوجية ، محيط العمل ...

المنابع

- **القرآن الكريم**

١. **ابن سينا في كتاب السياسة قسم تدبير الرجل أهله.**

٢. **آمنة ودود، القرآن و المرأة.**

٣. **بهاء الدين خليل تركية، علم الإجتماع الأسري.**

٤. **جوادي آملي، المرأة في مرآة الجلال و الجمال**

٥. **محمد رضا زيبائي نجاد و آخرون، المرأة هويتها الجنسية و أدوارها الاجتماعية**

٦. **محمد رضا سالاري فر، خانواده در نكرش اسلام و روانشناسي**

٧. **نصير الدين الطوسي، أخلاق ناصري**

٨. **نيرة توحيدي، محاضرات باللغة الفارسية تحت عنوان الإسلام و الفمنيزم**

٩. **الحر العاملي، وسائل الشيعة**